ذلك التوازي بين الذات وما تسعى إليه نجده بشكل أكثر وضوحا في سينية البحتري، ولو أن التوازي هنا ذو طبيعة مختلفة. فالقصيدة تطلع علينا بلغة أقرب ما تكون إلى لغة العمارة والبناء، ترسم أمامنا ذاتا نكاد نلمس صمود جدرانها، وصلادة حجارتها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

وتماسكت حين زعزعني الدهر التماسا منه لتعسي ونكسي

تمامًا كما لو أن إيوان كسرى هو الذي يتحدث عن نفسه، عن صيانته، وترفعه، وتماسكه إزاء زعزعات الدهر. ولكن لأننا نعلم أن الشاعر هنا يتحدث بلسان حاله لا بلسان الإيوان، فإننا بقراءة عكسية للقصيدة، أو بقراءة ثانية، سنجد أن ذات الشاعر إنما تتهيأ لموازاة الإيوان مدركة شبهها به، ليغدو ذلك الأثر المعماري الحضاري معادلاً موضوعيًا لتلك الذات، كما هي بيزنطة معادلاً موضوعيًا لذات شاعرها:

حضرت رحلي الهموم فوجهت إلى بيض المدائن عنسي

أتسلى على الحظوظ وآسى لمحل من آل ساسان درس

أذكرتنيهم الخطوب التوالي ولقد تذكر الخطوب وتنسي

وهم خافضون في ظل عال مشرف يحسر العيون ويخسي

«الخطوب التوالي» هنا هي خطوب البحتري كما هي خطوب الإيوان، وبين الاثنين تحتشد دلالات تاريخية وثقافية متشعبة. وإذا كان البحتري في هذه القصيدة يحقق تجاوزًا مهمًا في بنية ودلالات القصيدة العربية، فإن ذلك التجاوز لا ينحصر في الانتقال من الوقوف على الأطلال إلى الوقوف على الآثار، كما يلاحظ الدكتور محمد غنيمي هلال، بل يتعداه إلى الالتحام بتلك الآثار التحامًا تمتزج فيه الذات بموضوعها من خلال المعاناة الذاتية ومعطيات التاريخ والحضارة.[١٣] فعلى المستوى الذاتي، يجد

---

(١٣) محمد غنيمي هلال، *الأدب المقارن* (بيروت: دار العودة ودار الثقافة ١٩٦٢) ص ١٩٥-٢٠٠، وانظر الملاحظات القيمة التي يوردها إيليا حاوي في *فن الوصف وتطوره في الشعر العربي* (بيروت : منشورات دار الشرق الجديد، سلسلة الفنون الأدبية عند العرب، ١٩٦٠) ٢: ٤٤-٥٤.